الدين والدنيا في عام ١٩٠٨

نظر اجمالي للاب لويس رتزفال اليسوعي (تابع لما سبق)

٢ العالميات في عام ١٩٠٨

كما امتازت سنة ١٩٠٨ بأحداثها الدينية كذلك اصابت في عالم السياسة مقاماً خاصاً وما لا يختلف فيه اثنان انَّ العالم المتضرم كان مبدأ طور جديد في سياسة الدول. حيثما ألقينا النظر وجدنا الامم الكبرى في غليان وحركة وكأن بزعمائها يطلبون لشعوبهم عزاً وخطتهم مجازاً يسلكون فيه فتارة يشيرون الى الحرب وتارة تستروح من كلامهم رائحة السلم رحيناً يصرفون الهمة الى المعاهدات الدولية. فماذا يكون من هذا القيل والقال فالله اعلم به لانَّ له وحده عزَّ وجل التدبير وليس للانسان سوى الحدس والتفكير. أما نحن فلا يسعنا سوى تدوين اهمّ الاحداث التي جرت في العام الماضي

وما يقال عن السنة ١٩٠٨ اجمالاً انها انتُتحت على طالع مشؤوم فان الازمة المالية في اميركة كانت ضربت اسواق العالم العظمى ضربةً ليست. وانما نكايتها في القطر المصري كانت اشدّ واوجع حتى انَّ حالة مصر المالية الى الآن لم تزل في حيص بيص وارتباك. اما اميركة فانَّ القوانين الصارمة التي وضعها الرئيس روزفلت ضدّاً للاحتكارات والمضاربات المالية اعادت للمعاملات التجارية بعض الثبات والثقة

وكذلك بلاد اليابان كان ينوء عاتقها تحت ثقل ازمة اقتصادية بالغة وهي مع ذلك لا تعلم كيف تنتهي مسألة المهاجرين من ابنائها الى اميركة. الّا انَّ هذه الأزمة قد حُلَّت على طريقة لم تكن في الحسبان كما سترى. اما الازمة المالية فتلافتها الدولة اليابانية اذ باشرت بعدَّة مشروعات من شأنها ان تأخذ بناصر الاقتصاد الوطني وتمنع دمغة ثانية وقوع النكبة التي أُصيبت بها في اثر حربها مع روسيا. واخصُّ هذه التدابير التي استعانت بها تقليلها لبرنامج حربها بانقاص التسليحات. وبفعلها هذا قد قدَّمت لارباب الامر مثالاً محمودًا وقدوةً صالحة يتنبَّى العقلاء لو انتست به الدول الاوربية. وقد فعلت انكلترَّة فعلها بخفضها لمبالغ ميزانيتها منذ ثلاث سنوات حتى بلغ اقتصادها في

هذه المدة مليارًا من الفرنكات ومع هذا فانَّ مجلس الأمة لا يشاء البتة ان تفقد انكلترة سيطرتها على البحار

وهنا امرٌ آخر يجدر بنا ذكرهُ في مقدمة كلامنا عن وقائع السنة ١٩٠٨ وذلك هو العلاقة بين ثروة الدول وسياستها. فهذه دولة اليابان فانَّها في اوائل السنة ١٩٠٨ كانت تبرق وترعد والكلُّ ينتظرون ثورها في ساحة الوغى لمحاربة الولايات المتحدة. فما مرَّ عليها اشهر حتى خمدت جمرتها وسكنت ثورتها وتصافحت الدولتان وتعاهدتا. والسياسيُّون مجمعون على انَّ اليابان لم تعد الى هذا التغيير الَّا خوفًا من تهوّرها في ورطة تبيد ماليتها وتمحقها. والدليل على ذلك ما باشرته من الاصلاحات في تعديل ميزانيَّتها

وكذا يقال عن المانية. فانَّ امبراطورها غليوم الثاني في مطاوي السنة المتصرمة ارعج العالم بخطبه الحماسيَّة التي كان يُشتمُّ منها رائحة البارود ولعلَّهُ لم يكن ليكتفي بالقول بل وقف بجيوشه لمحاربة الفرنسويين لولا علمهُ بثروة فرنسة التي تفوق على مالية الالمان

ولكن دعنا الآن من هذه الاعتبارات وهيَّا بنا نلخص الماجريات السياسيَّة في السنة المنقضية

ترجع احوال السياسة في السنة ١٩٠٨ الى ثلاثة امور شغلت الدول دون سواها. الاوَّل أحداث مراكش والثاني انقلاب الهيئة الحاكمة في تركيَّا. والثالث خصام اليابان مع اميركة ومع الصين. ونحن نباشر بهذا الامر الاخير لننتهي من ذكر الشرق الاقصى

اما خلاف اليابان مع اميركة والصين فانَّ معاداة اميركة لليابانيين ظهرت منذ بضع سنين فانَّ الولايات المتحدة ولاسيما اهل جزائر هوايي والفليبين وسواحل الاوقيانوس الهادي وسان فرنسيسكو كانوا يشكون المزاحمة اليابانيَّة في بلادهم وينسبونهم الى الترفُّع والعتوّ اذ يطلبون المساواة بالحقوق مع الوطنيين في كلّ الدوائر العموميَّة والامتيازات الاهليَّة من تجارة وبحريَّة وتهذيب وسعي في المدارس ومن ثمَّ كان الاميركيُّون يلحُّون على ارباب الامر بان يسنُّوا قانونًا ينفي المهاجرين اليابانيين من تلك الامتيازات. فجرى في ذلك بين الدولتين عدَّة مفاوضات كانت تزيد حدَّةً يومًا بعد آخر حتى توقَّع الناس انتشاب الحرب لاسيَّما بعد ان اخر الاسطول الاميركي في وجهة الاوقيانوس الهادي. وكان الرئيس روزفلت أشعر بنيَّته العدائيَّة منذ شهر تشرين

الاوّل من السنة ١٩٠٧ حيث قال: «لا تنتصر امّةٌ الّا اذا ضربت ضربةً قويّة ولا نستطيع ان نضرب الّا بحريّتنا». فلما سار الاسطول الاميركيّ قاصداً الاوقيانوس الهادئ في نيسان اجمع السياسيّون على انّ الحرب لا مناصّ منها

وليس هنا المقام لتفصيل اخبار تلك الرحلة وسير الاسطول الاميركيّ. والامر المقرّر انّ اليابان بعد التهديد والوعيد اخذت تلطّف كلامها بل ابدلته تماماً حتى جملته ولائناً ولمّا وصل الاسطول الاميركيّ الى سواحل اليابان لم تُطلَق المدافع الّا للمظاهرات الحبيّة. وكانت اليابان هي المتقدّمة في طريق التساهل والتوادّ والمظنون انّها لم تفعل ذلك الّا صوناً لماليّتها وتثبيتاً للاصلاحات الاقتصاديّة التي قرّرتها. ولعلّها غيّرت خطّتها ايضاً لما حدث بينها وبين الصين من النزاع. وعلى كلّ حال انّ اليابانيين لم يدّخروا وسعاً في حسن استقبال السُّفن الاميركيّة حتى غلب على ظنّ الدوائر السياسيّة بانّه عُقدت معاهدة بين الدولتين. فلما وصل الاسطول الى مرسى يوكوهاما في ٥ تشرين الاوّل رحّب اهل اليابان بالاميركيّين وزيّنوا المدينة لاكرامهم بالانوار وقسيّ الانتصار وانزلوا الاميرال سپاري وعمدة ضبّاطه في بلاط شيبا الامبراطوريّ واقلّوهم في العجلات الملكيّة وتشدّدوا على كلّ من ينطق في حقّ الاجانب بكلمة سوء. كما انّهم اسرعوا ترضيةً لخواطر الاميركيين في ان يعدلوا بالمهاجرين عن السير الى الولايات المتحدة بل الى جزائر هوايي نفسها. واليوم قد هبط عدد المهاجرين الى اميركة بنسبة اربعة اخماسه في السنين الماضية رغماً عن ازدياد المواليد في اليابان الى نصف مليون في السنة

امّا النزاع بين اليابان والصين فلم يتمّ حتى الآن. وكان سببه ضبط الصينيين في ٥ شباط ١٩٠٨ لباخرة يابانيّة تدعى تاتسو مارو وجدوا فيها اسلحةً مهرّبة. فاحتدم اليابانيّون غيظاً وارسلوا اسطولاً مركّباً من ستّ دوارع ليطالب بالسفينة المستصفاة فدخل مرسى آموي في ٢٥ آذار وارسل الى ذوي الامر البلاغ الاخير فاضطرّ الصينيّون بدّ السفينة لكنّهم ادركوا ثأرهم من اعدائهم بمصادرة بضائعهم ونهبوا مخازن الصينيين المحتوية على سلع يابانيّة ومذ ذاك الحين قد جاهر اهل الصين على رؤوس الملإ بمبدإهم الوطنيّ «الصين للصينيين». والحال بين الدولتين لا تزال حرجةً وقد كثرت بينهما الحوادث المكدّرة والدعاوى الاحتلافيّة في ثغور البلاد في منشوريا وكوريا.

وقد زاد تحمّس الصينيين منذ بشّر ولاة الصين باعلان دستور نظاميّ للاهالي وذلك بعد وفاة ابن السماء الامبراطور كوانغ سي الذي ولد في ٢ آب من السنة ١٨٧٢ وكان يتولّى الملك منذ السنة ١٨٨٩ الّا انّ الضابطة لعنان الامور كانت خالتهُ الامبراطورة تسوهي التي كان مولدها سنة ١٨٣٤ وقد وقعت وفاتها يوم وفاة الامبراطور. امّا الملك الجديد فهو ولدٌ عمرهُ سبع سنوات فقط. ولا بدع انّ ذلك ممّا يزيد الامور خطرًا وارتباكًا مع كثرة الاحزاب السياسيّة في الصين

دَعْنا نعود الى اوربّة على طريق الهند فنلتمح الى ما جرى هناك. يظهر انّ الهنود يستثقلون النير البريطانيّ فيحاولون خلعهُ عن رقابهم وقد استجدوا لهذه الغاية بالافغان ففي ٥ من شهر ايار حصلت مناوشات بين الجنود الانكليزيّة والجيش الافغانيّ الذي جاء لناصرة المتمرّدين. وقد دحر الانكليز عسكر الافغان لكنّهم اصيبوا بخسائر تُذكر. وممّا يدلّ على اشتعال نار الفتن في الهند قتل الاهالي في كالكوتّة نائب الحاكم في اقليم بنغال السير اندرو فرازر في ٧ تشرين الثاني. وقد افادت أنباء أخرى انّ الفتن تمتدّ في جهات غيرها. وكذلك حصلت في بتباي اعتصابات اقلقت الحكومة في اواسط تموز. وزد على هذه النكبات فيضانًا كبيرًا اردى بحياة خمسين الفًا من البشر جرى هناك في غرّة تشرين الاوّل

٢ ﴿ حوادث مرّاكش ﴾ بدت الحرب المرّاكشيّة ضئيلةً وكان البعض يرتأون انّ البعثة الفرنسويّة هناك لا تتجاوز مظاهرةً عسكريّة فتتمّ بعد اسابيع قليلة. لكنّ الامر لم يزل يتفاقم حتى قامت الحرب على ساق. وكان افتتاح القتال في ١٤ كانون الاوّل سنة ١٩٠٧ وفي ١٥ منهُ جرت واقعة في عين صفا فجُرح ١٣ جنديًا فرنسويًا. وفي ٢٢ ثار اهل فاس ونهبوا المخازن. وفي ٢٧ اقامت الحكومة الفرنسويّة لقيادة الجيش الجنرال داماد (d'Amade) بدلًا من الجنرال درود (Drude) ابن احد اللبنانيين نزيل مرّاكش كان ابوهُ تركهُ صغيرًا في تلك البلاد فربّتهُ راهبات المحبّة وتجنّس بالجنسيّة الفرنسويّة. وفي ١١ كانون الثاني عُزل السلطان عبد العزيز واقيم عوضًا عنهُ اخوهُ مولاي حفيد. فتحضّر السلطان الجديد لمحاربة الفرنسويين ونادى بالجهاد في ١٦ منهُ واعلن بسلطتهِ في مكانس بعد يومين

ومذ ذاك الحين تعددت الوقائع الحربيّة بين مولاي حفيد والفرنسويين فجرت

في شباط اربع معارك خسر فيها الفرنسويون نحو خمسين من القتلى وجُرح نحو المئة. وحدث في اثنائه انفجاران على سفينتين راسيتين في طنجة ومزاغان وهما جان درك وديكرت جُرح بهما عشرون جندياً. وكذلك تراكمت الثلوج على فرقة الضابط ايتران (Etrang) وساورتها الانواء. فتفقدت ٣٤ من رجالها

وكان الجنرال داماد في اثناء ذلك قد استولى على ستّات وتأهب لوقائع جديدة. فاستأنف العدوّ في ٢٩ اذار القتال الذي انجلى عن ٩ قتلى و ١٢ جريحاً. وفي ١٦ نيسان باغت مولاي حسّان الفرنسويين في معلّبة فقتل منهم ٢٨ وجرح مئة. وكانت آخر وقيعة في ١٣ أيار في ابي ذنيب قُتل فيها ١٣ فرنسويا منهم ٣ ضبّاط وجُرح ٦٣ نفراً وفي اثر ذلك هدأت الاحوال نوعاً

وكان مولاي حفيد قد اكتسب شهرةً في اعين قومه لقيامه بازاء الفرنسويين فزاد نفوذهُ وعظم شأنهُ . وفي ٩ من حزيران دخل بأبهة ورونق فاس مدينة مراكش المقدّسة. وفي ١٤ منهُ أعلن به رسمياً كسلطان في القصر. وما لبث ان اوفد نوّاباً من قبلهِ الى الدول الاوربيّة ليستطلع طلعها الّا انّ فرنسة لم تقبل الوفد المراكشي بخلاف المانية

ومذ ذاك الحين دخلت المسألة المراكشيّة في طور جديد فانّ المانية التي كانت صادقت على معاهدة الجزيرة واقرّت بحقوق فرنسة في تقويم الميل واصلاح الخلل عدلت عن خطّتها ورأت في نهضة مولاي حفيد عقبةً كؤوداً في طريق فرنسة عدوّتها فجعلت تعضدهُ وتشدّد ازرهُ حتى بلغ الامر بغليوم الثاني أن يطلب من الفرنسويين أن يعدلوا عن السلطان الشرعيّ عبد العزيز ويعترفوا لاخيهِ بالولاية. فاخذ العجب كثيرين من مندوبي المجلس الفرنسويّ وجاهروا بمناهضة تلك الدسائس في جلسة ١٨ حزيران الّا انّ العدد الاعظم بينهم فضّلوا مجاملة امبراطور المانية بل لاموا في ٣ تموز الجنرال داماد لاستيلائهِ على ازمنور وبقيت فرنسة مع هذا موالية لعبد العزيز

وفي غضون ذلك تغيّرت الاحوال السياسيّة في تركيا فشُغلت بها الخواطر عن المسألة المراكشيّة التي خمدت مدّةً حتى أجج نارها الامبراطور الالمانيّ بخطبهِ التي اذهلت اهل بلادهِ انفسهم . وعاد الاخوان عبد العزيز ومولاي حفيد الى حربهما فدارت رحاها على عبد العزيز في ٢١ منهُ فولّى هارباً. أمّا مولاي حفيد فدخل طنجة

وأعلن بسلطته فيها وفي ٢٣ منهُ انبأ بها الدول الاوربيَّة. ولمَّا كانت اواخر ايلول لحَّت المانية على فرنسة بان تعترف لمولاي حفيد بالسلطنة لأن ولايتهُ كما زعمت ضروريَّة لاستتباب السلام

وكان الامر على وشك النجاز اذ وردت اخبار من البيضاء بان الشُّرط الفرنسويين اوقفوا ميعوثًا المانيًا كان يسعى بتهريب جند الفرقة الاجنبيَّة ولاسيَّما الالمان منهم. فاستاء الفرنسويون من هذا العمل اي استياء. وحبسوا الآثمين ولمَّا طلبت المانية بان يُفرَج عنهم أبت فرنسة ذلك كما انَّها لم ترضَ بان تتوسط لها العذر عن فعلها بل أثابت الجنرال داماد على حُسن تدبيره ورقَّتهُ الى رتبة فريق. فتوتَّرت الاحوال وزادت حرجًا حتى خيف ان تنشب الحرب بين الدولتين في اوائل الخريف وطالت المفاوضات بين وزير الخارجيَّة في فرنسة السيو بيشون وسفير المانية في باريس السيو رادولين حتى رضيت المانية على بغتة بان تُعرض المسألة على مؤتمر التحكيم في لاهاي (١) فالحال سكنت تلك الحركة الغريبة واصبح الناس في انتظار عقد المؤتمر

وإن سألت ما الذي حمل بعاهل المانية الى استبدال خطتهِ وطلبه التحكيم بعد قوله عنهُ أجبنا انَّ اهل المانية تضايقوا من سلوك الامبراطور وتقلُّبه في المسألة المراكشيَّة حتى لم يعودوا يوافقونهُ وكبير وزرائهِ الكنت دي بولوف على عملها لاسيَّما انَّ اخبار الحرب التي كانت تتناقلها الجرائد كانت تؤثر اسوأ تأثير في مالية المانية. فاخذوا يلقون الامبراطور بالسنة حداد في الصحافة وفي دار الندوة حتى أنهم طالبوا بان اعلان الحرب لا يُفوَّض بهِ الامبراطور وحدهُ بل يجب ان يكون من امتيازات مجلس العموم وكذلك رغبوا الى الامبراطور بان يكون كتشليارهُ لسان الدولة باجمعها وليس كاتبًا مجرَّدًا لاسرار الملك وممثلهُ هو فقط

وكان للالمانية دواعٍ أُخر تحدو بها الى الحيادة عن الحرب فلا تتهوَّر بها دون تروٍّ وذلك انَّ اوربَّة دخلت في طور سياسيّ جديد جعلها منفردةً عن بقيَّة الدول لا يعضدها سوى النمسة شقيقتها في لغتها الالمانيَّة

---

(١) انَّ مجلس التحكيم الدولي الذي انتهى في العام المنصرم دام ١٢٧ يومًا وقد افادت احدى الجرائد انَّ نفقات ذلك المؤتمر بلغت ١٥ مليونًا من الفرنكات منها ٥ ملايين في حقّ التلغرافات المتبادلة. فيا لهُ ما اعظم هذه المبالغ بالنسبة الى قلَّة ما نتج عن ذلك الاجتماع من الفوائد!

ولا بُدَّ هنا لادراك الامر من نظر اجماليّ في السياسة الدوليّة ولا بأس ان تخطّينا به الى ذكر الحادث الثالث الكبير الذي جرى في السنة الماضية فنقول:

انَّ المانية وانكلترَّة في الساعة الحاضرة على قاب قوسين من الخلاف والنزاع رغماً عن الزيارات المتبادلة التي جرت بين ادوارد السابع وغليوم الثاني اي الخال وابن اخته ورغماً عن الانتخاب الودّيّة التي شربها كلّ من الامبراطورين لاكرام الآخر. أمّا سبب هذا النفور فتجارة الدولتين وكلّ يعلم انَّ انكلترَّة كانت سابقاً فائزة بقصبة السباق في تجارة العالم وخصوصاً في الشرق الاقصى. فيا تُرى أتنغّص الممالك البريطانيّة نظرها عن تقدّم المانية التجاري ومزاحمتها لتجارتها في اسواق الدنيا. فهذا هو المشكل الكبير او بالحريّ المشكل الوحيد الذي يشغل كلّ الافكار في انكلترَّة

كلّا انَّ وراء ذلك مشكلاً ثانياً صرّح به آخراً اللورد روبرتس في مجلس العموم وانّما هو ملحق بالمشكل السابق. معلومٌ انَّ بريطانية العظمى لا تبتغي فقط السباق في الاوقيانوس الهادئ انكنّها تريد قبل كلّ شيء صيانة ارضها وحفظ بلادها من كلّ عداء. ولكن كيف يَسعها الاطمئنان وراحة البال اذا ما رأت المانية وفقاً لمرغوبها تزيد كلّ يوم عدد سُفُنها دون ان تجاريها في العمل فتُنشي هي ايضاً عدد دوارعها بل عدد جنودها برّاً. ويلجئها الامر ايضاً الى سنّ الخدمة العسكريّة على رعاياها ليقوى جيشها البرّي على ردّ كلّ هجوم عن جزيرتها. فترى انَّ هواجس انكلترَّة لا تخلو من سند. وناهيك به داعياً يسوق الانكليز على مناصبة السياسة الالمانيّة

وقد حدث غير ذلك من الامور التي زادت في تكدير الخواطر. وذلك انَّ جريدة التيمس في عددها الصادر في ٥ آذار اكّدت بانَّ الامبراطور غليوم الثاني كتب رقيماً بخط يده لوزير البحريّة اللورد تويدموث (Tweedmouth) يحاول فيه تحوير برنامج البحريّة الانكليزيّة. فجرى لهذا السبب في مجلس العموم مشاجرات عنيفة في جلسة التاسع من الشهر. ولم يجد الوزير وسيلةً ليعزّي نفسهُ الّا قولهُ بان الوسالة لم تكن رسميّةً فلا يُكترَث لها

فكلّ هذه الامور كان من شأنها ان تكدّر صفاء العلاقات بين الدولتين. والمرجّح انَّ اجتماع غليوم الثاني وادوارد السابع في ١١ و ١٢ آب لم تكن لهُ غاية أخرى سوى جبر الصدع واصلاح ذات البين. لكنَّ ارباب السياسة رأوا في زيارة

سابقة ادّاها ملك انكلترة واسرته لقيصر الروس واهله في رڤيل (Revel) ما هو اعظم شأنًا من مفاوضة ادوارد السابع وغليوم الثاني لأن في هذا التقرّب من القرابة ما يستوقف الابصار. وكان المقصود من هذه المواجهة الملوكيّة ليس فقط اتّفاق الدولتين على عدم التداخل في حوادث العجم بل إعداد محالفة انكليزيّة فرنسويّة روسيّة. ومذ ذاك الوقت لم تزل روابط البلاد الثلاثة تزيد وثاقةً. وقد ظهر الامر خصوصاً في حرج المسألة المراكشيّة في شهر تشرين الاوّل

فكلّ هذه الحوادث تنبئ بأفكار الانكليز وسبب حذرهم من المانية. ويُضاف اليها استعراض الملك لقوّات الدولة البحريّة وذلك في ١٦ تموز بضعة ايام قبل مواجهته للامبراطور غليوم وكان عدد السفن المستعرضة بالغًا الى عدد ٣٥٠ سفينة

اما تودُّد الانكليز لفرنسة فانّهُ في هذه السنة بلغ شأوهُ من اللطف والولاء. ففي ١٤ أيار كان افتتاح مؤتمر انكليزي وفرنسويّ في لندن قرّب الأمتين وصار في اثره استقبال شائق للرئيس فاليار عدّهُ السياسيّون كانتصار بهيّ وبنوا عليه الآمال الطيّبة لتوطيد السلام

فاذا يا ترى يبقى بعد تقرُّب هذه الدُّول العظيمة اعني فرنسة وروسيّة وانكلترة من المحالفة الثلاثية التي كانت سابقًا تتهدّد السلام العامّ. فانّ ايطالية حليفة المانية والنمسة قد ضعفت علائقها مع تينك الدولتين ولا تزال تصرف بنظرها الى انكلترة لانّ صوالحها التجاريّة وبحريّتها مرتبطة ايّ ارتباط بصوالح تلك الدولة. وكذلك قد اخذت ايطالية تميل الى روسيّة كما تشهد عليه ايضاحات وزيرها تيتوني في شهر آذار. وجاءت بعد ذلك مجاهرة النمسة باستيلائها على الهرسك والبشناق فكان فعلها هذا ضربةً لازبة على محالفة الايطاليين للنمسة. وقد حصلت وتنذر مظاهرات عدائيّة في جهات ايطالية ضدّ النمسويين لم تخمد حتى الآن ثائرتها. وزد على ذلك ما اثار عمل النمسة من الضغينة والشحناء في قلوب الدول الصقليبيّة كالصرب والجبل الاسود بل في صدور بعض اهل بلادها ايضاً كالتشاك والبوهيميين والسلوفان فحضّت فتن عديدة ضدّ الحكومة والجنسيّة الالمانيّة لم تقو الدولة على كبحها الّا بالجهد الجهيد

وكانت المانية في اثناء هذه الفتن لا تزال تظهر مدافعتها عن حليفتها النمسة الّا انّ مجاملتها هذه قد هيّجت عليها الخواطر وجعلت الدولتين منفردتين بازاء بقيّة الدول

لا يعضدها احد في سياستها . وسوف يعلمنا المستقبل ما ستؤول اليه الاحوال . وان لمكن اهل مؤتمر لاهاي ان يعيدوا مياه السلام الى مجاريها سوف يفضون مشكلاً صعباً ويربحون شكر جميع محبي السلام

٣ ﴿ الدستور العثماني ﴾ ها قد بلغ بنا الكلام الى الحادث الثالث العظيم الذي جرى في بحر السنة المنتهية ألا وهو الدستور الممنوح للدولة العلية . فان تحت هذا الامر طائلاً كبيراً وشأناً خطيراً لا يهم فقط رعايا الممالك المحروسة بل الدول الاوربية كلها اللهم الا بعض الدول الصغرى كالبرتغال والدول الشمالية

لما نشرت الجرائد لاول مرة في ٢٤ تموز خبر انقلاب الاحوال في تركيا ودقت البشائر في انحاء الولايات بالنظام الدستوري لم يكد الناس يصدقون الخبر بل ظن كثيرون ان تلك الانباء من الاراجيف والدسائس ليخدع بها السذج ويصطاد في شباكها المنتمون الى تركيا الفتاة . الا ان الامور ظهرت بعد قليل ظهور الشمس في رائعة النهار فبلغ الفرح بين العموم مبلغه وتطايرت القلوب بهجة وسروراً

ثم تساءل الجمهور كيف تحولت الامور بغتة وجرى هذا التغيير العجيب الذي لم يكن احد لينتظر وقوعه ولاسيما دون ثورة ومن غير ان تسفك الدماء كما حدثت الثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩ . هل يا ترى يكون مقبول بل فاعل ومعلول بلا علة ؟

اجل ان لهذه الثورة دواعي علتها كباقي الاحوال السياسية التي لم تحدث دون اسباب تسوق اليها . فمن المعلوم المقرر ان هذه الحركة نشأت في مكدونية وكانت الاخبار تأتينا حيناً بعد حين فتفيدنا ان الجيش هنالك في اضطراب وشغب . فاخذ انصار تركيا الفتاة ينتهزون الفرصة ليثيروا شركتهم باستنادهم الى العسكر ولم يزالوا يجدون في الامر حتى اكتسبوا الفيلق الثالث كله الذي به كانت تناط امور مكدونية وكذا جرى مع الفيلق الثاني الذي اتفى آثار جند مكدونية بل اتسع نطاق الحركة العسكرية حتى كاد يعم كل انحاء الدولة في اوائل سنة ١٩٠٨ . وكان في منستير جمعية سرية ضابطة لعنان التدبير ترسل اوامرها الى سائر الولايات واخذت تعضدها في العمل قوات الارناووط واليونان والبلغار والفلاخ بعد ان كانت في هرج ومرج يلتهم بعضها بعضاً . اما رئيس تلك الجمعية ولسانها فكان الضابط السني نيازي واصله من رسنه . فوجه الى اهل اوكريدا والى الشعب التركي خطبتين حماسيتين شيعتا باسمه

بين كلّ اهل تركيا. وقد عضده في مشروعه ضابط آخر يُدعى انور ففي ٢٣ تموز ارسل الى جريدة المانيّة كبيرة (Neue freie Presse) كتاباً يدعو فيه كلّ العثمانيين على اختلاف عناصرهم ليحتفلوا بذلك اليوم كاوّل يوم حرّيتهم وهو قد امضى كتابه هكذا « انور المشير من اعضاء جمعيّة الاتحاد والترقّي العثمانيّة »

وفي ٢٤ تموز جرت في ادرنه ومنستير فتنةٌ صرّح فيها الجند باستيائهم من القوّاد العاضدين للحكومة كشمسي باشا وهدايت باشا وصادق باشا. وكذلك حدثت في اليمن وبرّ الاناضول وولاية ارضروم ثورات اخرى اتت كاّها بشرها فقلبت النظام العتيق والجأت جلالة السلطان الى العدول عن حكمه المطلق. ففي ٢٣ تموز قدّم الصدر الاعظم استعفاءه وتولّى منصبه سعيد باشا. وفي ٢٤ منه اعلن السلطان عبد الحميد بالنظام الدستوريّ الذي كان سابقاً منحه سنة ١٨٧٦ بل اقسم على القرآن علانية بامانته للدستور وبوفائه حقوقه تماماً. واقسم بعده سماحة شيخ الاسلام واعيان الدولة المدنيّون والعسكريّون. وكانت الأيام التالية لهذا الاعلان أيام اعياد بهيجة أُقيمت الافراح وأُنيرت الانوار وسارت المواكب بالرايات والموسيقى في المدن والقرى ألا بعض الامكنة التي لم ترضَ بهذا التغيير. لكنّ اكثر العثمانيين اطلقوا العنان لسرورهم وتراءوا في هيئة امم ميتة انبعثت من قبورها فنالت حياةً جديدة. ولا حاجة أن نكرّر هنا تفاصيل تلك الحفلات الشائقة التي بلغت غاية الحفاوة لاسيّما في بيروت ولبنان (١)

وما خمد لظى هذا التحمّس حتى ترجّحت افكار العثمانيين الى تعيين المندوبين ليُرسَلوا الى مجلس المبعوثان. وكانت الوزارة في اثناء ذلك قدّمت استعفاءها فتشكّلت بدلاً منها وزارة جديدة رئيسها كامل باشا في ٥ آب. ثمّ تواردت الاخبار من ولاية ديار بكر بانّ الجيوش الحميديّة انضمّت الى العصيان وانّ زعيمها ابراهيم باشا يأبى معرفة الحكم الدستوريّ. فأُرسلت لمحاربته جنودٌ منظّمة تعقّبت آثاره وقاتلته اوحى قتال حتى ظفرت بالحميديين وقتلت ابراهيم باشا واحد ابنائه — وكذلك عصى في اليمن

(١) انّ اهل لبنان اظهروا بعد اعلان الدستور من شارات الفرح والبهجة ما قلّ نظير مثله في غير انحاء الدولة. لكنّهم بعد هدوء هذه الثورة الاولى من فرحهم ارتأوا انّ الافضل لهم ان يقنعوا بما يتمتعون نظام لبنان الدوليّ منذ سنة ١٨٦٠ من الامتيازات والانعامات تعدلوا عن متابعة الحكم الدستوريّ

راتب باشا مشير العساكر اليمنيَّة فدارت عليه الدوائر وقُبض عليه فأُرسل كأسير الى الاستانة (Etudes, 20 *Janvier* 1909, p. 199)

وفي يوم الخميس ١٧ كانون الاوَّل كان افتتاح دار الندوة في عاصمة المملكة بحضور ١٥٠ مندوباً من المبعوثين وممثلي كلّ الدول فتُلي على مسامعهم خطاب الحضرة السلطانيَّة وكان جلالتهُ حاضراً تلك الحفلة في مقام أُفرز لهُ . وفي ذلك اليوم جرت مجالي الافراح في كلّ انحاء الدولة

على انَّ تلك الافراح الدستوريَّة لم تبقَ في صفائها زمناً طويلاً . فما كادت جمعيَّة الاتحاد والترقي تُعلن بالدستور حتى غامت سماء السياسة الدوليَّة . ثمَّ سُمعت وراء السحاب زمجرة الحرب . ففي ٥ تشرين الاوَّل اعلن الامير فرديناند في ترنوفو عاصمة البلغار القديمة استقلال بلغاريا واتَّخذ لنفسهِ لقب القيصر ثمَّ ارسل رقيماً بهذه الى السلطان عبد الحميد ليبلّغهُ الامر رسميًّا . وكلّ يُعرف جواب الدولة العليَّة وما جرى من المقاولات بين البلادين حتى كادت تستعر بينهما نار الحرب . ثم بعد ان اوشكت الامور ان تصطلح بقبول بلغاريا ان تدفع لتركيا مالاً معلوماً يبلغ خمسة ملايين ليرة (خصصت منها روسيا دين تركيا لها) عاد التنور

وبعد الاعلان البلغاري بيومين ضمَّت النمسة الى بلادها ولايتي الهرسك والبشناق . فتصدَّت لها الدولة العثمانية واحتجَّت عليها مع دولتي الصرب والجبل الاسود لما في هذا العمل من الاجحاف بحقوق بلادها . وكانت ثالثة الاثافيّ بعد ذينك الحادثين انتباذ جزيرة كريد لدولة اليونان في ٨ من الشهر عينهِ

فاصبحت هذه الحوادث داعياً لاصطكاك الدول الاوربيَّة والمنافرات المتواترة بينها . فانَّ الدولة المسكوبيَّة لم ترضَ بعمل النمسة لاسيما بعد سفر وليّ عهد الصرب الى روسيَّة لكنَّ النمسة جاهرت باستيائها من جارتها وتلوَّمت منها . اما المانية فانها غالباً تعضد النمسة وان لم تصرّح بنيَّتها تماماً . ولما قدم المسيو اسڤولسكي الى برلين في ٢٩ تشرين الاوَّل لتسوية الامر رجع خائباً نزاد الخرق اتساعاً . وكانت العناصر المخالفة للنمسة تقوم وتقعد في مناواة الدولة النمسويَّة وعلى الخصوص الايطاليون والصقالبة . وتحفَّزت الصرب والجبل الاسود للقتال وارسلتا جنودهما على حدود النمسة فاسرعت النمسة واوفدت الى تلك التنور جيشاً خامرهُ الهلع اظنهُ بانَّ العدوّ احدق به

فرأى هارباً وعُزل من جرّاء ذلك قائدان. وزاد في الطين بلّة انّ المدن التركيّة صادرت البضائع النمسويّة فالحقت بتجارتها خسائر عظيمة وبقيت مطالبات النمسة دون جدوى. اما انكلترّة فراغبةٌ في الصلح وساعية في عقد مؤتمر لاصلاح ذات البين الّا ان النمسة لا ترضى به ما لم تكفّ تركيّا عن مقاطعتها واعلنت مع هذا بانّها لن ترجع عمّا سلف من امر الهرسك والبشناق. فترى من كل هذه الارتباكات انّ السياسة اليوم ملتوية معضلة لا نعلم ماذا يكنّ لنا الغد فالغد من اسرار العلم وما لا يرتاب فيه احد انّ دولتين قائمتان الآن بناصر دولتنا العليّة وهما فرنسة وانكلترّة وعليها تتّكل الممالك المحروسة لحلّ المسألة الشرقيّة كما انّهما التست منها رجالًا اكفاء لتنظيم بحريتها واصلاح ماليتها

وهذه الوقائع المستحدثة قد أنست بخطرها ما جرى بين الباب العالي وفرنسة من الخلاف بخصوص معادن هرقلة (١٦ أيار) ومظاهرات ايطالية البحريّة بسبب الراهب الايطالي الذي قُتل في طرابلس الغرب (٢٠ نيسان) وثورة اهل جزيرة ساموس على حاكمها من قبل الدولة العليّة

٤ لمحة في احوال بقيّة الدُّول

وبينما نشاهد تركيّا تحاول النهضة من خمولها وتجدّد شبابها نماين دولة العجم تناصب طالبي الدستور في تحوّلها. فانّ الشاه مُصرّ غاية استطاعته على رفض الحكم الدستوريّ فراشّ بفعله جناح الفتنة التي تفاقمت الى حدّ بليغ وقد قام في وجهه الرأي العام من وجوه الدولة وارباب الدين وكذلك ناهضته الصحافة الحرّة الوطنيّة والاجنبيّة معًا حتى فُقد الامان في طهران عاصمة الدولة وقدّم سفراء الدول احتجاجهم للمرجع الاعلى. وفي ٢٩ شباط ألقى الثائرون قنبلتين على الشاه فنجا منهما لكنهما ذهبتا بحياة كثيرين من حاشيته. ومع هذا لم يستسلم الشاه الى ارادة الجمهور. ولا يعلم احد الى ما ستؤول الامور. ومن المقرّر انّ مقاطعة اذربيجان وحاضرتها تبريز كادت تخرج من حكم العجم. فانّ الشاه اوفد لمحاربتها فرقةً من جنود الروس المحالفين يقودهم الكولونل اوتشاكوف فاطلق القنابل على المدينة والتحم القتال بين اهلها والجنود الموفدة وكثر الهرج والمرج حتى ظنّ البعض انّ روسيّة عزمت على التوسّط في العجم. امّا

روسيَّة فقد صرَّحت لانكلترَّة بانَّها لا تتداخل في تلك البلاد طالما لا يُصاب دورها بأذًى وقد الحَّت كلتاهما على الشاه بان يتسامح لرعاياه بالحكم الدستوري . لكنَّ الشاه حتى الآن لا يعيرها اذنًا صاغية

وقد حلَّت الثورة بممالك أُخرى فكانت الضربة قاضيةً على حياة اصحابها فمن ذلك المكيدة الفاجعة التي دهمت في اواخر كانون الثاني ملك البرتغال دون كارلوس . ففي ٢٨ نشر الحزب الجمهوري اعلانات مهيجة ضدَّ الملك في اسبرنة . وفي ٢٩ حصل في المدينة مشاجرات دمويَّة . ولم تلبث الانباء البرقيَّة ان نعت ملك البرتغال رابعهُ البكر اللذين قُتلا قتلًا وحيًّا في سلخ الشهر عينه

وقد اصابت اميركة سهمها من هذه الدقن . فان جمهوريَّة هايتي في غليان منذ شهر آذار والاهلون هناك يناوئون الاجانب ويعادونهم اشدَّ العداء . وكذلك ثارت الثوائر في بلاد مكسيك في غاية حزيران وفي الهند الصينيَّة ضدَّ الحكومة الفرنسويَّة وفي جهات هندوراس . ونلحق بهذه الأحداث انقطاع العلائق بين فنازويلة والولايات المتَّحدة (٢٤ تموز) وبينها مؤخرًا وبين هولندة التي تخفر سفنها الآن بحر الانتيل لتوقيف المراكب الفنازويليَّة . وكان رئيس تلك البلاد الذي كسترو قد هيَّج عليه خواطر الدول بصلفهِ وعنجهيَّتهِ واوردى زناد الدنش على الاجانب واليوم قد قلب هذا الرئيس عن منصبهِ وهو لا يزال يكيد المكايد ليعود الى رتبتهِ السابقة رغمًا عن مساوئهِ العديدة

*

(انكلترَّة والمانية) سبق لنا الكلام عنهما ونضيف هنا الى قولنا انَّ في العام الماضي حدث عدَّة حركات فوضويَّة في المانيَّة تكدَّرت لها الخواطر . ففي ١١ كانون الثاني جزت في برلين مظاهرات عنيفة من الاشتراكيين ومن جملة طلباتهم ان يُعطَى للجميع حقّ التصويت . وفي اثرها عُقدت في الرشتاغ جلسة تعنَّف فيها بعض اعداء الحكومة عليها حتى أضحى مقام انكنشلار المسيو دي بيلوف حرجًا جدًّا . وكأنَّ اصحاب هذا الهيجان كانوا اتَّفقوا مع رصفائهم في بلاد شتى ففي اواخر الشهر ذاتهِ حصلت في لندن وفي هنغارية حركات ثوريَّة كمثل المانية . بل ترى النساء انفسهن

اخذنَ يسعينَ بنوال حقّ الانتخاب وقد احتفلن لذلك بالحفلات العديدة والقين الخطب لتأييد مبتغاهنّ ولعلهنّ يدركن غايتهنّ

(بلجكة) توفّي فيها فجأة رئيس وزارتها المسيو دي تروس (de Trooz) في غرّة السنة ١٩٠٨ وبعد اسبوع أقيم مكانهُ في رئاسة الوزارة المسيو دي شولارت (de Schollaert). وهو رجل ذو دين وخبرة محنّك بالتدبير — وفي ٥ آذار أمضى الملك ليوبلد قرار تنازله عن ملك الكنغو لمملكة البلجيك ثمّ قدّم صكّ عهده لمجلس الدولة الذي بعد المفاوضات الطويلة صادق عليهِ ثمّ رضي بحكمهِ مجلس الاعيان في ٩ ايلول وعلى هذه الصورة انتهت مسألة الكنغو التي كانت بلغت منذ سنة حدود التوتّر وكثيرًا ما اضحت سببًا للمشاجرات وزواجر الخطب. ومنذ تنازل الملك عن حقوقهِ لدولتهِ اخذ اهل بلجكة يعيدون بالًا تلك المستعمرة التي صوّب اليها اعداؤهم سهام الملام وقرّعوهم بسببها تقريعًا فحشًا كما انهم نسبوا زورًا للمرسلين الكاثوليك اعمالًا لم يأتوها البتّة وذلك كلّهُ لغايات دنيئة لينتزعوا مستعمرة الكنغو من ايدي اهل بلجكة الكاثوليك. وقد افادنا الثقة بانّ الحركة الصناعيّة في بلجكة نمت نموًّا عجيبًا منذ استملك الملك ليوبلد على الكنغو حتى اضحت تلك الدولة في مقدّمة كلّ الدول بصناعتها ومعاملها وبالخصوص بانشائها لشركات الترواي والسكك الحديديّة في كلّ انحاء المعمور. وكانت عين انكلترة طامحة لتلك البلاد لوقوعها في طريقها بين السودان وجنوبي افريقية لكنّها زهدت عنها مرغومة

(فرنسة) انّ احوال فرنسة التي خلَل من عدّة وجوه. فانّ السُّنَن السيئة التي يشترعها المبعوثون كثيرًا ما تبخس حقوق الدين وتزيد الاحوال السابقة تفاقمًا. ولا بدع انّ النكبات التواترة التي ابتلي بها الله هذه الدولة من علامات غضبهِ عليها لابتعادها عنهُ في حياتها العموميّة. فمن الرزايا التي دهمتها في السنة المنصرمة عدّة خطوب نابتها في بحريّتها كما اشرنا الى ذلك في كلامنا عن مراكش يُضاف اليها حريق طولون في ٢٣ ك ٢ الذي بهِ تلف قسمٌ من الذخائر البحريّة. فكل هذه الدواهي أدّت الى استعفاء وزير البحريّة المسيو تومسون في ٢٠ تشرين الاوّل بعد المداولات العنيفة في دار الندوة. وزد على ذلك انّ اميرال اسطول البحر المتوسّط المسيو جرمينه (Germiney) عُزل من رتبتهِ لاعلانهِ بما صارت اليهِ البحريّة الفرنسويّة من التقهقر

والتأخر في تجهيز اسلحتها . امّا الجيوش البرّية فقد تكرّرت فيها حوادث التشغب والعصيان التي يحرّض عليها قوم من الفوضويين المضادّين للجندية . وقد مرّ بك ما حدث من ذلك في البيضاء

وفي ٢٠ شباط افتُتحت دعوى الضابط اليهودي اولو الخائن لوطنه بما اباحهُ من اسرار الجندية . فحُكم عليه بان يُخلَع عن رتبته ويُجرَّد من بزّته العسكرية ثمّ يُحبس الى نهاية حياته في جزيرة الشيطان . ولمّا استأنف دعواهُ لم تقبل الحكومة احتجاجهُ بل انفذت فيه الحكم في ٢٣ آذار فكان لهذا المثل اثر طيّب في الجيش . على انّ الحكومة لم تلبث ان تطمس معالم هذا الفعل الحسن بفعل آخر اثيم وهو امرُها بنقل رفات ذلك الكاتب النجس اميل زولا الى البنتيون مدفن مشاهير فرنسة وزولا كما هو معلوم كان المدافع عن الخائن اليهودي دريفوس . فعوّلت الوزارة على تنفيذ هذا الامر في ٢٢ آذار الّا انّ كلّ النفوس الابيّة ومحبّي الوطن ناصبوا هذا الحكم مناصبة الابطال فانتظار ارباب الامر شهر حزيران لنقل تلك الرفات سرًّا . الّا انّ هذه الحفلة وان سرّيّة اثارت في قارب كثيرين شواعر الأنفة والنخوة حتى انّ احد الوطنيين الاحرار المسمّى غريغوري اطلق سلاحهُ على دريفوس اذ رآهُ ماشيًا في تلك الحفلة

ومن الآفات التي دهمت فرنسة نقصٌ في تجارتها بلغ في تموز اي نصف السنة ١٣٦ مليونًا من الفرنكات للواردات و ١٧٥ للصادرات . وكذلك حصلت عدّة إفلاسات اخصّها عجز محلّ روشات (Rochette) الذي ناهز ٨٠ مليونًا وحريق مكتب الاسلاك التلفونيّة في ٢٠ ايلول . ولم تختصّ فرنسة وحدها بهذه الازمات المالية فانّ دولًا أخرى أصيبت بمثل مصائبها لاسيّما في اشغال المعادن والمناجم كالمانية وانكلترّة وروسيّة وبلاد ترنسفال . فيا حبّذا لو تدارك أولو التدبير هذه البلايا التي توالت على مالية البلاد فاحلّت بها اضرارًا لا تُحصى

ونلحق بهذه النواجع التي رُزئت بها فرنسة فَقْدها لبعض ائمّتها وغرّة بلادها منهم العلّامة المبرّز بالعلوم الجيولوجيّة المسيو دي لاپاران (de Lapparent) كاتب اسرار اكادمية العلوم واحد اساتذة المكتب الكاثوليكيّ في باريس . وتآليفهُ العديدة تُعَدّ حجّةً يُستند اليها ويوثق بها وكان المذكور مثالًا حيًّا لاتّفاق العلم والدين في خدمة

الوطن. كانت وفاتهُ في ١ أيار. وبعد زمن قليل أُصيبت العلوم الطبيعيَّة بملَّامة آخر كان تعيَّن كخلف للسير دي لاپاران في اكادمية باريس وهو هنري بكريل (H.Becque-rel) الشهير باكتشافاتهِ المتعدِّدة عن خواصّ النور واشعَّة الراديوم والعناصر المشعَّة. وفي ٢٩ منهُ جرى لفرنسة رزء ثالث بوفاة شيخ شعرائها فرنسوا كوپه (Fr.Coppée) الذي مات ميتةً صالحةً بعد احتمالهِ بالصبر الجميل لمخض الاوجاع في مرضهِ الاخير وهذا الشاعر كثيرًا ما دافع بقصائدهِ الرنَّانة عن الدين وآلهِ. ومن اموات العام الماضي ذوي الشهرة السير هنري كمبل بنرمان (Sr H. Campbell Bannerman) احد ارباب السياسة الانكليزيَّة توفي في ٢٢ نيسان في ٧٢ من سنهِ

(النمسة) ومن الاحداث السارَّة التي قشعت شيئاً من الغيوم المتلبِّدة فوق سماء النمسة العيد الالماسي لامبراطورها فرنسوا جوزيف اقامتهُ ذكرًا لبارغهِ السنة الستين من ملكهِ (١٨٤٨ — ١٩٠٨) فعمَّت الافراح كلّ انحاء الدولة. وكان بدء الحفلات الرسميَّة في ١٢ حزيران في عاصمة الملك. وفي ١٨ آب يوم تتويج الامبراطور بلغت المظاهرات اقصى مبلغها وكانت الجموع تتزاحم في طريق زعيم المملكة حتى كانت تُرمَى كالبناء المرصوص حتى قُتل البعض من كثرة الازدحام

(الولايات المتَّحدة) كانت اميركة الشماليَّة في حركة واضطراب تنتظر خاتمة لرئيسها روزفلت الذي كانت انتهت مدَّة رئاستهِ. فكانت نتيجة الانتخابات العموميَّة تولية السير تافت (Taft) في ٣ تشرين الثاني وتعيَّن كنائبهِ السير شرمان (Sher-mann) والرئيس الجديد صديق السير روزفلت واحد انصارهِ لا يكاد يخالفهُ في خطَّتهِ السياسيَّة. والامل معقود بتقدُّم الولايات المتَّحدة في عهدهِ

هذا وكان بودّنا ان نلحق نظرنا السياسيّ بلمحة عامَّة عن ترقّي العلوم في السنة ١٩٠٨ الَّا انَّ ذلك يؤدي بنا الى الطول المملّ فرجاؤنا من ادارة المجلَّة ان تفرد لهذا الامر باباً خاصًّا في بعض اعدادها كعادتها المألوفة حينًا بعد حين

على انَّا لا نقدر ان نسكت عن مؤتمرين علميَّين عُقدا في اواسط الصيف في شهر آب اوَّلهما مؤتمر الدروس التاريخيَّة الذي يُعقد كلّ خمس سنوات فعُقد السنة الماضية في برلين. ثمَّ مؤتمر المستشرقين الذي جرى بعدهُ بيومين في كوپنهاغ حاضرة دنيمرك.

لكنّ المشرق سبق ودوّن تفاصيلهما في عدده الصادر في تشرين الاوّل عن لسان احد الوفدين من قبل مكتبنا الشرقيّ فأغنانا عن المراجعة

وليسمح لنا القرّاء بان ننتهي من هذا النظر الاجمالي بكلمة نجعلها كسلك ختامه. لا غرو ان المطّلعين على الماجريّات العديدة التي استوقفنا عندها الانظار يردّدون قول سفر الجامعة (١١:٣) انّ الله قضى على ارضه التحوّل والتغيير ولا غرو فانّ الممالك دُوَلٌ كاسمها افلا يحقّ بالانسان أن يرفع بنظره الى ما فوق اعلى واسمى من هذه الارضيّات لتأبيها وزوالها فيوطّد آمالهُ في دار القرار لدى ذاك الربّ العظيم الذي يضبط كلّ الدول في قبضته ولهُ في تصرّفها الحكم الاخير. فاذا قرّت النفس في هذا الركن الثابت استترت لديها احوال الدنيا فلمحتها بنظر هادئ وعين قريرة لأنّها تعرف انّ لا شيء يجري في عالم الزوال بغير علمه تعالى وهو يدبّر كل الامور لمجده وخير مختاريه. وان أحدرت النفس نظرها من تلك المشارق العليا الى الارض رأت في وسطها قبّةً تحلّق في الهواء كالنسر المرتفع ألا وهي قبّة كنيسة بطرس هامة الرسل في الفاتيكان فهذه قبّة السلام يسكن مجوارها شيخ وقور يمثّل ملك الدهور وربّ الارباب. فمن جرى تحت رايته امن الضلال ومن سمع منهُ اصاب الامان لأنّهُ هو سفير الله السلام الذي عند ولدهِ صرخت الملائكة: المجد لله في العلاء وعلى الارض السلام لمن فيهِ المسرّة

الالفاظ السحريّة

نظر للأب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٤ التمدّن

التمدّن احدى الالفاظ التي تتلاعب اليوم بالعقول وتُفتن بها الالباب. تكرّرها المنشورات العامة ويردّدها الخطباء وتتلقفها الافواه. فكأنّ في ايرادها غنًى عن كل ايضاح وتبيان. وان سألت الذين ينطقون بهذه اللفظة السحريّة ان يوضحوا لك بمعناها ويعرّفوا فحواها اجابوك بازدراء ما الحاجة الى تعريف ما يدركهُ الجميع وكادوا يقرّفونك